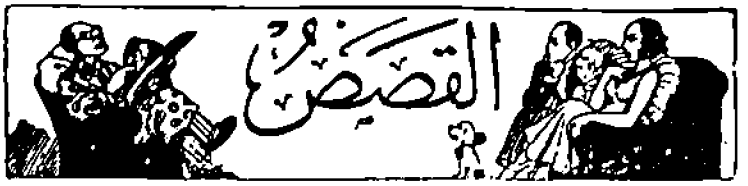

مجنون ...

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

أبي مس من جنون ؟ أم أن ما بي فيض من غيرة فحسب ؟ لست أدري من أمر ما بي شيئاً ، ولكنني أكابد مر العذاب ،

رمى طائفة من المسلمين بما هم منه براء ! فهو يقول (إن الطنطاوى تابع فى تكفيره البوصيرى محمد بن عبد الوهاب إمام حنابلة نجد) فالإمام المجدد ابن عبد الوهاب — رحمه الله — وحنابلة أهل نجد بل كل المسلمين — لا يكفرون إلا من اتصف بالكفر — ولم يثبت عن واحد منهم تكفير البوصيرى . وغاية ما يقولون به ويعتقدونه هو :

(١) أن البوصيرى دعا الرسول والرسول ميت ، ودعاء الأموات شرك (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك)

(٢) لا ينكر أحد من المسلمين شفاعة الرسول (ص) تلك الشفاعة التى أوضحها الله سبحانه فى القرآن الكريم وبينها الرسول (ص) (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ؟) (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) . وقال (ص) مجيبا لسائل سأله من أحق الناس بشفاعتك ؟ فقال من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ... فالإذن والرضا من الله وإخلاص العبادة له لا بد منها فى الشفاعة

(٣) تكفير المعين لا يجوز إلا من ارتكب شيئا من المكفرات وأصر على ارتكابها بعد إيضاح الحق له ومات على ذلك، وكل مسلم يبرأ إلى الله من أن يصف البوصيرى بهذا الوصف — إذ لا يمكن الجزم بخاتمته . وليكن حسن ختام كلمتنا هذه تحية — من ربى نجد مضمخة بأريج شيحه وعراره للأستاذين الجليلين الطنطاوى والنجار — وشكرا عطرا للقائمين على هذه المجلة الغراء

عبد الرحمن بن رويشد

ومض الألم . لقد اجترمت يداى إثم طيش ، طيش أهوج مجنون ، إن هذا لحق. ولكن ألا تكفى هذه النيرة الرابية المهورة، وذاك الحب الثائر الخائن الملعون، وهذا الألم الباهظ الممقوت — ألا يكفى كل هذا لأن نأتى إثماً من الأمر وسخفا دون أن ينزع منا إلى هذا السخف أو ذاك الإثم عقل أو فؤاد ؟

أواه ! إنى لآسى وآلم ... وآلم من عذاب دائم حاد مفرط . لقد أحببت تلك المرأة حبا سليطاً طاغياً . ولكن أكان حبها حقا ؟ أعلقتها ؟ كلا ثم كلا ! لقد ملكت على حسى ، وحالت بينى وبين نفسى ... أسرت وصرعت ، فكنت فى يدها — وما أزال — دمية . كنت ملك النظرة الخاطفة ، واللحظ الرهيف ؛ أسير الغلالة والقد الدقيق ؛ عبد التبسم والشفاه ... وكنت ألهث إذا ما تسلط على هيكلها وتآمر ... ولكنها هى ، صاحبة كل هذا ، وكائنة هذا الجسد ، أمقتها وأحقرها وألمنها . لقد كانت كدرة غادرة ، وكانت دنسة ماكرة ، وكانت محط الفساد ومهبط السوء . إنها الحيوان فاسد مثير تخلى عن الروح فتخلت عنه ولم تعد بعد فيه ؛ ولم يعد يسير عقله كما يسير نسيم منعش متطلق .. إنها البهيم الآدمى ، بل هى أحط من هذا وأفنو . إنها ردغة مستوحلة . هى آية من آيات الجمال البض الغريض سكنت دار الخزى والعار

كان اتصالنا فى أول الأمر غريباً جميلا . وكان يقتلنى — بين ذراعيها المفتوحتين أبداً — جنون الرغبة الملحة العاتية . وعيناها كانتا تفغران فى كأنما ألهب حلقى العطش . كانتا سنجابيتين حين الظهيرة ، مشوبتين بخضرة وقت دلوك الشمس ، وكانتا زرقاوين إبان الشروق . ليس بى مس من جنون ، فإنى لأقسم أن كان لعينيها هاته الألوان الثلاثة . فهما فى أحايين الحب زرقاوان ثاقبتان ، يتوسطهما إنسانان كبيران مضطربان ، وشفتاها تقلصهما رعدة محمومة ، فلربما انفجرتا عن طرف لسان ريق أحمر يتحرك كلسان الأفعوان، وجفناها الغضيضان الناعسان تشرعهما فى وناء وهينة ، فتكشف عن نظرة مضطرمة وارية ، كانت تزيدنى جنوناً . وكنت أحتدم غيظاً إذا ما رأيت نظرتها هذه لدى العناق ، وأرجف حقداً ورغبة أن أقتل هذا الحيوان الذى تلحف الضرورة فى بقائه

وكان فرعى يهتز لوقع خطاها وهى تتخطر فى حجرتى ؛ وكان قلبى يثب لخفيف ثوبها إذ تأخذ فى خلع ثيابها فتدع ثوباً يقع ، وتخرج منه عارية مخجلة ، وكنت أحس من ريح غلالتها الملاصقة انحلالا رخيا يسرى فى أعضائى وأطرافى جميعاً ...

وشعرت بأنها ملتنى فجأة واجتوتنى . إذ رأيت ذلك فى عينيها يوماً حين أصبحنا ، فقد كان من دأبى أن أحنو عليها كل صباح أرقب نظراتها الأولى . . . وكنت أنتظر — وصدرى يدور به الحنق ويحرجه الكره والاحتقار معاً — أنتظر مترقباً نظرات ذلك البهيم النائم الذى يهيمن على فأنا له عبد ذليل ، ولكن ما تكاد تبدو لعينى حدقتاها الشاحبتان كليلتين سقيمتين إثر الأحضان الأخيرة ، حتى تنقد حواسى وينضرم كيانى . فكأنما نار تلهبنى فتستنزف كل عزمى وقواى ، ولكنها حين ذلك اليوم طالعتنى بنظرة مختلفة حزينة بائسة لا ترجو من العالم شيئاً

آه ! حقا رأيت ذلك وعلمته ، ولقد شعرت به للتو وفهمته ، إذ انتهى كل شئ ؛ انتهى كل ما ترجو إلى الأبد ، وعندى على ذلك الدليل يقوم فى كل ساعة وأخرى ؟

فإذا ما عانقتها صدفت عنى قائلة : « هلا تركتنى إذن ؟ » أو قبلتها فتقول : « إنك لبغيض ! » أو تقول : « أفلن أجلس حيناً وادعة ؟ ! »

حين ذلك غرت ، ولكن كما يغير الكلاب ... أثارت ما أثارت من ارتياب وكتمان وحيلة . علمت حقا أنها ما عرفت عنى إلا لتفسح مجالا لآخر تذكى عواطفه وتلهب حواسه . . .

غرت غيرة هادرة طائشة مجنونة ، ولكنى لم أكن مجنونا . كلا ! حقيقة كلا ! وانتظرت ، آه ! ثم حنوت عليها ولم يخب ظنى ولم تخدعنى عيناها إذ ظلتا باردتين مثقلتين ، وقد تقول حينذاك : « إن الرجال لتؤذينى وتسئمنى » ، وكان ذلك حقا

غدوت حينئذ غيوراً منها نفسها ، ومن عزوفها ونفورها ؛ غيوراً من فراغ لياليها ووحدتها ؛ غيوراً من حركاتها وإشاراتها ، ومن عقلها الذى أستشعر دائما عاره ؛ غيوراً من كل ما أتوهم وأحدس وأرى . وقد تلقانى صبح ليلة من لياليها المضطرمة ، بنظرة رضية ناعمة ، كأنما خالطت روحها شهوة فحركت من رغباتها . . . حينئذ يحتدم قلبى حنقاً فتختنق أنفاسى فى صدرى التحرج ، وتصرخ رغبة فى نفسى أن أخنقها ، وأهشم عظمها تحت ركبتى ، وأنشب فى جيدها أظفارى ، حتى تقر بمخازيها المخلة وتفضح أسرار فؤادها المرذول

أبى مس من جنون ؟

— كلا !

فهأنذا قد انتعشت فى إحدى الليالى وانتشيت واستشعرت إحساساً جديداً يخالطها ، وكنت واثقاً من هذا تمام الثقة ؛ فقد كانت تتمتم كما تفعل بعد العناق عادة ، ونظراتها توقدت واضطرمت وذراعاها قد شاع فيهما الدفء والحيا ، واضطرب كيانها أجمع إذ تتحكم فيه الرغبة الثائرة الجموح . وضاعت منه روائح خفية مسكرة ، هى روائح الحب الذى صرع الفؤاد وأعمى البصيرة

وتغابيت ، ولكن أحاط بها انتباهى كالشرك ، ومع ذلك فما كشف لى منها عن شئ

وتريثت أسبوعاً ، فشهراً ، ففصلا . والآن رأيت جهومتها قد زالت وتدفقت فيها حميا مبهمة ، ثم استراحت إلى حياة قوامها عناق ، وعمدتها قبل

وفى لحظه وامضة أدركت : فما بى مس من جنون ! وإنى لأقسم أن ليس بى مس من جنون !

كيف أقص ذاك عليك ؟ كيف فهمت ؟ كيف أبين لك الشئ المبهم المفوت ؟ !

إليك ما نهمى إلى كل شئ : فى تلك الليلة التى حدثتك عنها كانت عائدة من نزهة على صهوة جواد فسقطت عنه . وقد جلست ليلتئذ أمامى فى مقعد وثير متوردة الوجنتين ، مخمرة العينين ، مرضوضة الساقين ، صدرها يعلو ويهبط مثل أمواج المحيط . لقد أدركت كل شئ حين رأيتها . إنها تحب ! ولم أستطع أن أخادع نفسى !

حينذاك فقدت شعورى وكرهت أن أنظر إليها . فتحولت إلى النافذة وهناك بصرت بخادم يقود جواداً من عنانه يثبو ويثب . . . أما هى فقد نظرت الجواد الفتى الشابى ، وأتبعته بصرها حتى غاب فاستلقت وغفت . . .

وظفقت أبحث طوله الليل فى ذلك . وخيل إلى أنى أوغل

فى غموض ما كنت أتوقعه من قبل . ومن زعم أنه عجم عود النساء الأعوج ، وسبر رغباتهن التضاربة ؟ ومن ادعى أنه فهم تقلباتهن الغادرة ورغباتهن السافلة ؟

* * *

كانت تخرج صباح كل يوم على صهوة الجواد إلى الغاب والسهول ، ثم تعود لاغبة مكدودة فى كل مرة ، كما تفعل عادة بعد أن تسكت عنها نوبة من الحب الطائش . الآن قد فهمت ، فغدوت غيورا من الجواد النهد الكريم ، واجدا على النسيم العاشق إذ يحتضنها بينا تنطلق فى شوط سريع أهوج ؛ وغدوت حاقدا على أوراق الشجر إذ تقبل أذنيها عرضا ، حاسدا لأشعة الشمس إذ تلثم جبينها من بين الغصون ، ولذلك السرج إذ يحملها ويلمس فخذيها البضتين

كان هذا كل ما يسرها وينويها ، ويطلق أسارير محياها وينيرها ، وكان هذا كل ما يكدها ويضنيها ، فتلقانى متعبة لاغبة إلى حد الإغماء ...

وأزمعت الانتقام لنفسى . وكنت أتلطف معها فى الخطاب متلطفا مدللا ، وكنت أمد إليها يدى لتعتمد عليها حين تقفز عن صهوة الجواد بعد أشواطها الهوجاء المضنية . وكان الجواد يرمقنى ثم يفحص الأرض صبوة وفتوة . وكانت تدلله وتربت على كتفه ، أو تحتضن أنفه اللاهث . ولا تنسى أن تمسح على رأسه وأصداغ فمه المزبد . وكان ريحها العطر يضوع من جسد تصيب منه عرق أعرف أريجه وسط الليل . وكان هذا العطر يختلط فى أنفى بريح الجواد الأسهب

وطفقت أتحين الفرصة وأتربص الدوائر . لقد كانت تسير كل صباح فى أحراج من السدر توغل فى الغاب ... فى يوم غدوت مع الفجر ، وفى يدى حبل متين الفتل ، وفى صدارى مسدسان محشوان ، كأنى ذاهب إلى مبارزة

وعدوت نحو الطريق التى تحب ، وربطت الحبل فى جذعى شجرتين متقابلتين ، ثم تعقبتها فى الأحراج

وكثيرا ما خبرت الأرض بسمعى . والآن سمعت وقعا رتيبا من بعيد . وبصرت بشئ من بين الأغصان يسبح فى الهواء سبحا. آه ! ... لم أخدع فقد كان هو الجواد النهد الأصيل . وأما هى فقد كانت نشوى من فرط السعادة محمرة الوجنتين . وتبدلت نظرات عينيها فهى الآن طروب لعوب ، وتطلقت أعصابها من الهم واستراحت إلى تلك القسوة المنعزلة

ولما أن كبا الحصان بمقدمه تهشمت عظامه ، وطرح بفتاتى بعيداً فلففتها بين ذراعى القويتين حينذاك على حمل ثور سمين . وبعد أن وضعتها على الأرض فى هينة ورفق دنوت منه « هو » وقد كان يحملق فينا حينذاك ويحاول أن ينهشنى ، فأطلقت عليه الرصاص فى الأذن فخر صريعا يتشحط فى دمائه الثرة وقتلته . . . كما يقتل الغريم !

ولكنى أنا نفسى سقطت على الأرض ووجهى قد أدمته جلدتا سوط كان فى يدها . ولما أن تأهبت لأن تلهينى بالثالثة أفرغت فى جوفها الرصاصة الأخرى . .

فخبرنى بربك أكان مابى مسا من جنون ؟ !

س . م

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة للمجلد الأول من كتاب

وحى الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبعت طبعا أنيقا على ورق صقيل ، وقد بلغت عدد صفحات كل منها خمسمائة صفحة ونيفا .

وهي تطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل مجلد أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة